

# التعليم بين التقليدية والتجديد "نقطة نوعية في الفكر التربوي"

بقلم

الباحثة علياء علي عباس  
كلية الآداب/ الجامعة العراقية



يشهد العالم في العقود الأخيرة تحولات عميقة في طبيعة التعليم وأهدافه، مدفوعةً بالتطور التكنولوجي المتسارع، وتغير متطلبات سوق العمل، واتساع دائرة المعرفة الإنسانية. ولم يعد التعليم يُقاس بكمية المعلومات التي يكتسبها المتعلم، بل بقدرته على توظيف هذه المعرفة في التفكير والتحليل والإبداع. وفي هذا السياق، برز مفهوم "الطفرة النوعية" في التعليم، بوصفه انتقالاً من نماذج تقليدية قائمة على التلقين إلى نماذج حديثة تركز على بناء المهارات وتنمية التفكير. ويعد المنهج الدراسي محور هذا التحول، باعتباره الأداة الأساسية التي تحدد اتجاه العملية التعليمية ونتائجها.

إن الطفرة النوعية في التعليم لا تعني مجرد إدخال تقنيات حديثة أو تحديث الكتب المدرسية، بل تشير إلى تغيير جذري في الفلسفة التعليمية ذاتها. ففي النماذج التقليدية، كان المتعلم متلقياً سلبياً للمعلومة، بينما يحتكر المعلم دور المصدر الوحيد للمعرفة. أما في النماذج الحديثة، فقد أصبح المتعلم محور العملية التعليمية، وأصبح التعلم عملية تفاعلية قائمة على البحث والاكتشاف، وليس مجرد حفظ واسترجاع. وهذا التحول يتطلب إعادة تصميم المناهج الدراسية بطريقة تعزز من استقلالية المتعلم، وتدعم قدرته على التفكير النقدي وحل المشكلات.

ويُعد تطوير المنهج الدراسي أحد أهم مداخل تحقيق هذه الطفرة. فالمنهج لم يعد مجرد محتوى معرفي، بل أصبح منظومة متكاملة تشمل الأهداف التعليمية، وطرائق التدريس، وأساليب التقويم. ومن هنا، فإن أي إصلاح تعليمي حقيقي يجب أن يبدأ من إعادة النظر في هذه العناصر بشكل متكامل. فالمحتوى يجب أن يكون مرتبطاً بواقع المتعلم واحتياجاته، وأن يعكس التغيرات المعرفية والعلمية. كما ينبغي أن يُبنى بطريقة تكاملية، تربط بين المواد الدراسية، بدلاً من تقديمها بشكل منفصل يفتقر إلى الترابط.

ومن أبرز ملامح الطفرة النوعية في المناهج الحديثة التركيز على المهارات العليا، مثل التفكير النقدي، والإبداع، والتواصل، والعمل الجماعي. وهذه المهارات تُعد ضرورية لمواجهة تحديات العصر، حيث لم يعد النجاح مرتبطاً بحفظ المعلومات، بل بالقدرة على استخدامها بطرق مبتكرة. كما أن إدماج التكنولوجيا في التعليم أصبح عنصراً أساسياً، ليس فقط كأداة عرض، بل كوسيلة لتعزيز التفاعل، وتوسيع مصادر التعلم، وتوفير تجارب تعليمية أكثر واقعية.

إلا أن تحقيق هذه الطفرة لا يخلو من التحديات، خاصة في السياقات التي لا تزال تعتمد على أنظمة تعليمية تقليدية. فإدخال مناهج حديثة يتطلب تدريباً مكثفاً للمعلمين، الذين يُعدّون العنصر الحاسم في نجاح أي تغيير. فالمعلم لم يعد ناقلاً للمعلومة، بل أصبح موجّهاً وميسراً لعملية التعلم، وهذا يتطلب منه امتلاك مهارات جديدة تتناسب مع هذا الدور. كما أن البنية التحتية، مثل توفر التكنولوجيا، والبيئة الصفية المناسبة، تلعب دوراً مهماً في دعم هذا التحول.

ومن التحديات أيضًا مسألة التقويم، إذ لا يمكن الحديث عن طفرة نوعية في التعليم في ظل استمرار الاعتماد على اختبارات تقليدية تقيس الحفظ فقط. فالتقويم يجب أن يتطور ليشمل أدوات متنوعة تقيس الفهم العميق، والقدرة على التطبيق، والمهارات العملية. وهذا يتطلب إعادة تصميم أنظمة الامتحانات بحيث تصبح جزءًا من عملية التعلم، لا مجرد وسيلة للحكم على المتعلم.

وفي هذا الإطار، يبرز دور السياسات التعليمية في دعم هذا التحول. فالإصلاح الحقيقي لا يمكن أن يتحقق بجهود فردية أو مبادرات محدودة، بل يحتاج إلى رؤية استراتيجية شاملة، تتبناها المؤسسات التعليمية، وتُترجم إلى خطط تنفيذية واضحة. كما أن إشراك المعلمين والطلبة في عملية التطوير يساهم في جعل التغيير أكثر واقعية وقبولًا.

ولا يمكن إغفال دور الثقافة المجتمعية في نجاح الطفرة النوعية في التعليم. فالمجتمع الذي يربط النجاح فقط بالدرجات، قد لا يتقبل بسهولة نماذج تعليمية تركز على المهارات. لذلك، من الضروري نشر وعي مجتمعي بأهمية هذا التحول، وإعادة تعريف مفهوم التفوق والنجاح ليشمل جوانب أوسع من مجرد التحصيل الدراسي.

وعلى مستوى المتعلم، تفرض هذه الطفرة دورًا جديدًا يتطلب منه أن يكون أكثر فاعلية ومسؤولية في عملية التعلم. فلم يعد كافيًا حضور الدروس وحفظ المعلومات، بل أصبح مطلوبًا منه البحث، والتفكير، والمشاركة، والتجريب. وهذا التحول، رغم ما يحمله من تحديات، يمنح المتعلم فرصة حقيقية لبناء شخصية مستقلة قادرة على التكيف مع متغيرات الحياة.

وفي السياق العراقي، تكتسب هذه القضية أهمية خاصة، في ظل الحاجة إلى تطوير النظام التعليمي بما يتناسب مع متطلبات التنمية. فالتحديات التي يواجهها التعليم في العراق، من حيث البنية التحتية، والمناهج، وأساليب التدريس، تجعل من تحقيق طفرة نوعية أمرًا ملحًا وليس خيارًا. وقد بدأت بعض الجهود في هذا الاتجاه، لكنها لا تزال بحاجة إلى مزيد من الدعم والتخطيط والتنفيذ الفعّال.

إن الطفرة النوعية في التعليم ليست هدفًا نظريًا، بل ضرورة عملية تفرضها طبيعة العصر. وهي لا تتحقق بمجرد تغيير في الشكل، بل تتطلب تحولًا عميقًا في الفكر والممارسة. والمنهاج الدراسي، بوصفه قلب العملية التعليمية، يمثل نقطة الانطلاق لهذا التحول. فإذا ما أُحسن تصميمه وتطبيقه، فإنه يمكن أن يساهم في بناء جيل قادر على التفكير والإبداع، لا مجرد الحفظ والتكرار.

## الخاتمة

يمكن القول إن التعليم اليوم يقف على أعتاب مرحلة جديدة، تتطلب إعادة النظر في كثير من المسلمات. فالطفرة النوعية في التعليم والمنهاج الدراسي تمثل فرصة لإعادة بناء منظومة تعليمية أكثر فاعلية وإنسانية. غير أن نجاح هذه الطفرة يعتمد على تكامل الجهود بين المؤسسات، والمعلمين، والمتعلمين، والمجتمع. وعندها فقط، يمكن أن يتحول التعليم من عملية تقليدية إلى تجربة حقيقية لبناء الإنسان القادر على صناعة مستقبله.

تأسس مركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية في بغداد بموجب شهادة التسجيل الصادرة عن الأمانة العامة لمجلس الوزراء -دائرة المنظمات غير الحكومية المرقمة (1J775330) بتاريخ ٢٦/٤/٢٠١٢، وهو مركز علمي بحثي يهتم بإجراء الاستطلاعات والدراسات الميدانية فضلا عن إعداد الأوراق البحثية والمقالات حول قضايا الحياة المجتمعية للأسرة والمواطن، والدولة بمؤسساتها المختلفة.

- لا يجوز نشر أي من إصدارات المركز ونتاجاته العلمية الا بموافقة خطية صريحة، ويمكن الاقتباس بشرط ذكر المصدر كاملا.
- لا تعبر الآراء الواردة في الدراسات او الاوراق البحثية والمقالات عن الاتجاهات الفكرية التي يتبناها المركز وانما تعبر عن رأي كاتبها.
- حقوق الطبع والنشر محفوظة لمركز الفيض العلمي لاستطلاع الرأي والدراسات المجتمعية

## للتواصل

00964- 7710122232



Alfaiidcenter2011@gmail.com



www.al-faidh.com



العراق - بغداد - الكرادة

